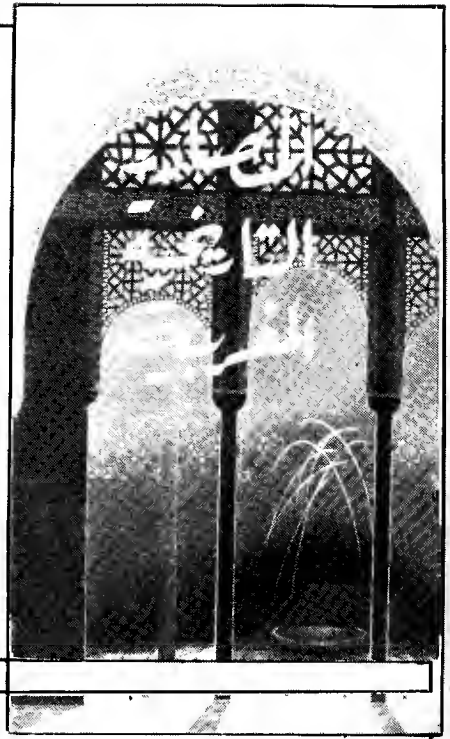


وأحداث الخ في ظل الح



أتناول في دراستي هذه نقطتين رئيسيتين هما :
أولا : معالجة بعض المصادر التاريخية الخليجية لموضوع
عوامل انهيار الاحتلال البرتغالي بالخليج العربي في
ظل الحكم العثماني.
ثانيا : أوضاع الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر
كما جاء في مصدر تاريخي مغربي معاصر.

العصور الحديثة بوجه خاص، تؤكد
لنا الحقائق التالية :

١ - لأول مرة يرتبط الجناحان مباشرة
عن طريق الرحلات البحرية التي
قام بها الرحالة الاوربيون
والبرتغاليون والاسبانيون بصفة
خاصة.

٢ - لقد تعرض جناحا الوطن العربي
في المغرب والمشرق لخطر
خارجية بسبب الموقع الجغرافي
وغنى المنطقة واستهدفت

أولا : معالجة بعض المصادر
التاريخية الخليجية
لموضوع عوامل انهيار
الاحتلال البرتغالي بالخليج
العربي في ظل الحكم
العثماني :

ان القاء نظرة عامة على الادوار
الرئيسية التي قام بها جناحا الوطن
العربي في المشرق والمغرب عند مطلع

ليبج العربي لكم العثماني

بقلم: الدكتور

عبدالكريم

كريم (المغرب)

٥ - نجاح المجاهدين المغاربة في القضاء على الحملة البرتغالية التي قادها الملك البرتغالي (دون سباستيان Don Sibastian) بوادي المخازن قرب مدينة القصر الكبير يوم الاثنين ٣٠ جمادى الاولى عام ٩٨٦ هـ الموافق ٤ اغسطس ١٥٧٨ م اراح الخليج العربي والجزيرة العربية من عدو خطير ظل يتوعد المنطقة ويهددها طوال ثلاثة ارباع القرن السادس عشر ومكن المجاهدين في الخليج العربي من القضاء على قواعد احتلاله وتصفية وجوده. والمؤرخ المغربي المعاصر عبدالعزيز القشتالي في كتابه «مناهل الصفا في موالينا الشرفا» خير من يتحدث لنا عن معركة وادي المخازن وأهم نتائجها وكيف انتهى الأمر بعد القضاء

الحملة العسكرية البرتغالية عند احتلال مدينة سبته سنة ١٤١٥م ومهاجمة الخليج العربي سنة ١٥٠٨م التوغل في قلب الوطن العربي لاستغلال الارض واستعباد السكان وتهديد المنطقة في مقوماتها الدينية والروحية والقومية.

٣ - ظلت جبهتا الوطن العربي قلعتين حصينتين في مواجهة التحديات الاستعمارية الخارجية وبذلنا من التضحيات بالنفس والمال والأهل والولد ما خلده تاريخنا العربي في صفحات مشرقة ناصعة.

٤ - لقد أفسد صمود الجبهتين العربيتين في المشرق والمغرب على الغزاة كل محاولة للتدخل والتمركز والاحتلال، فكان ان نجا الوطن العربي من اخطار كانت تهدده في وجوده ومصيره.

على الحملة البرتغالية ومقتل الملك البرتغالي بتدخل الملك الاسباني فيليب الثاني خال الملك البرتغالي على رأس حملة عسكرية وضم الامبراطورية البرتغالية وتوحيد شبه جزيرة ايبيريا عام ١٥٨٠م. كان لمعركة وادي المخازن صدى كبير في المشرق العربي، وقد دون الرحالة المغربي المعاصر أحمد بن القاضي في مخطوطه «المنتقى

المقصود» جانباً من ذلك : «ومما شاهدته من سيرة أهل المشرق بأهل قطرنا حينئذ لما انتهى اليهم خبر الغزوة العظيمة مايكل عن وصفه اللسان قائلين : هذا من أهل الغزوة المشهورة بما لا يدركه الا من شاهد ذلك، وصار لنا بذلك بينهم حظ عظيم» (ص ١٠١).

ويضيف قائلاً :

«أن أمرها عظيم على الترك (العثمانيين) جدا غيرة منهم أن يكون مثلاً على يد أمير عربي فامتألوا منها غيظاً وامتألاً العرب منها فرحاً وسروراً» (ص ١٠١). ومن جهة أخرى فقد سجل أحد الشعراء المعاصرين بالمغرب الكثير من هذه الاحداث السياسية والأمال التي أصبح عرب المشرق يعلقونها على الخليفة المولى أحمد المنصور السعدي بطل معركة وادي المخازن :

(١) ان شرق البلاد يرجوك شوقاً
مثلما يرتجى طلوع الهلال
فأدرك مصر والعراق ويمم
حرم الحي الكم خير آل
(الشاعر عبدالعزيز القشتالي: مناهل
القشتالي ص ١٥٧)

(٢) وهذي الشام وهذي العراق
ستسمي لكم وهي دار القرار
(الشاعر علي بن أحمد المسفيوي:
مناهل الصفا ص ١٦١)

(٣) وتخفق بالوادي المقدس راية
عليك وتلوى فيه الوية حمر
(الشاعر محمد علي الهوزالي: مناهل
الصفا ص ١٤٢)

(٤) ومما يؤكد صدى معركة وادي
المخازن في الخليج العربي البيت
الشعري التالي للشاعر المغربي
عبدالعزیز القشتالي يخاطب الخليفة
المنصور السعدي :

فكم هنأت أرض العراق بك العلا
ووافقت بك البشري لأطراف عمان

ان الدافع الذي جعلني اتعرض
لذكر معركة وادي المخازن ونتائجها
والصدى الذي أحدثته في الشرق
العربي خلال الربع الاخير من القرن
السادس عشر، هو اننى وقفت على
مصدرين تاريخيين يتحدثان عن
الاحتلال البرتغالي للخليج وعوامل
انهياره : الأول لصديقنا الاستاذ
الدكتور مصطفى عقيل الخطيب
الاستاذ بجامعة قطر وعنوانه
«التنافس الدولي في الخليج العربي»
وقد أهدانى اياه عندما حضر «ندوة

الملك محمد الخامس الدولية» في الرباط بالمغرب (نوفمبر ١٩٨٧).
والثاني للاستاذة بالمملكة العربية السعودية نوال حمزة يوسف، نالت به درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي وعنوانه «النفوذ البرتغالي في الخليج العربي».

جاء في كتاب «التنافس الدولي في الخليج العربي» (ص ٤٥ - ٤٦) عند التحدث عن أسباب تحرير هرمز ذكر للعوامل التي أدت الى نهاية الامبراطورية البرتغالية في الشرق بصفة عامة، منها : «ان الشعب البرتغالي كان محدود العدد.. وان شعوب المستعمرات كانت تكن لهم الكراهية.. وان عامل الوقت لعب دورا هاما في انهيار الامبراطورية الشرقية.. ومنها ان البرتغال فقدت استقلالها عام ١٥٨٠ وانضمت الى العرش الاسباني».

فكيف فقدت البرتغال استقلالها، وما اسباب ذلك ؟ انها معركة وادي المخازن. وبالنسبة لمؤلف الاستاذة نوال «النفوذ البرتغالي في الخليج العربي» (ص ١٨١) عند التحدث عن «بداية التنافس بين القوى الاوربية للسيطرة على تجارة الخليج العربي» أوردت مراحل هذا التنافس وكيف ظهرت قوى جديدة اوروبية منافسة للبرتغال في الخليج دون تحليل اسباب ضعف الوجود البرتغالي في الخليج «ففي سنة ٩٨٨ هـ - ١٥٨٠ م استولى

فيليب ملك اسبانيا على البرتغال بعد وفاة ملكها هنري» فما الاسباب التي جعلت الملك الاسباني يستولي على البرتغال ويوحد الامبراطوريتين الاسبانية والبرتغالية ؟ إنها مرة ثانية معركة وادي المخازن التي تحطمت فيها القوات العسكرية البرتغالية وقتل فيها الملك البرتغالي دون سباستيان والألاف من وجهاء القوم في البرتغال. والملك هنري هو الكاردينال هنري عم دون سباستيان الذي تركه نائبا عنه في لشبونه عند قيادته للحملة العسكرية ضد المغرب.

ثانيا : أوضاع الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر كما جاء في مصدر تاريخي مغربي معاصر :

من المصادر التاريخية المغربية التي انفردت بتدوين معلومات هامة عن الخليج العربي في مطلع القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي كتاب :

١ - الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا.

٢ - مخطوط (الترجمان المغرب على دول المشرق والمغرب) - دار الوثائق بالرباط (د ٦٥٨) وهما لابي القاسم الزيانبي (١١٤٧ - ١٢٤٩ هـ) (١٧٣٤ - ١٨٣٥ م).

فقد ساعدته الظروف كسفير للسلطان محمد الثالث لدى العثماني في اسطنبول على الوقوف على كثير من اخبار المشرق العربي ومنطقة الخليج العربي بوجه خاص وهو يقول : «واعتمدت فيما سطرت على ما طالعت من مصادر التاريخ.. وعلى ما طالعت بالقسطنطينية العظمى أيام سفارتي لها من سلطات المغرب بحضرة السلطان العثماني عبد الحميد رحمة الله عليه.. فقد أمر الوزير قيمها ان يفتح لي الباب ويطلعني على دفتر الكتب وكل كتاب تعلقت به همتي ينزله لي أطلع فيه واقيد.. وقد طالعت منها توارخا متعددة كل واحد يشتمل على عدة مجلدات». (الترجمان ص ٢ - ٣).

يضاف الى ذلك مشاهداته وما سمعه ممن التقى بهم من الحجاج في موسم الحج حيث يقول : «وانما رسمت فيها ما شاهدته في الاقاليم التي بلغتها وغيره نقلته ممن اجتمعت بهم بالحرم الشريف ومكة». (الترجمة ص ٣٣).

فما أهم المعلومات التي دونها المؤرخ الزباني عن الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر؟ يمكننا ان نرتب هذه المعلومات كالتالي :

- ١ - معلومات عامة عن طبيعة المنطقة.
- ٢ - وصف عام لعمرانها وعناصر سكانها وبعض مذهبهم.
- ٣ - جوانب اقتصادية.

٤ - الاوضاع السياسية.

١. طبيعة المنطقة :

كان الخليج العربي يعرف بالخليج الاخضر، وكان ينقسم الى بحار داخلية عديدة تحمل اسماء المناطق التي تجاورها الابله ومكران وكerman الى ان ينتهي الى الابله حيث عبادان فهناك ينتهي آخره ثم ينعطف راجعا الى جهة الجنوب فيمر ببلاد البحرين واليمامة ويتصل بعمان.. وهناك اتصاله بالبحر الهندي وطول هذا البحر اربعمائة فرسخ واربعون فرسخا^(١).

وهذا الخليج (بحر مبارك كثير الخير دائم السلامة وطبي الظهر قليل الهيجان بالنسبة الى غيره) ويتميز بكثرة الجزر (وفيه جزائر كثيرة معمورة مسكونة)^(٢).

وبارتفاع الحرارة (مدينة البحرين كثيرة المياه شديدة الحر كثيرة الرمال)^(٣).

كما توجد به مناطق تتصف بالخصب وغزارة المياه (مدينة لار وهي حسنة كبيرة كثيرة المياه والبساتين)^(٤).

ومدينة (قيس وهي المسماة سيرآن.. مدينة عظيمة ذات بساتين ومزارع.. ثم مدينة هجر.. وهي كثيرة الانهار والاشجار)^(٥).

٢. عمران منطقة الخليج العربي :

وصف المؤرخ الزباني حوض

الخليج العربي واورد ذكر عدد من المدن الواقعة على ضفافه فقال :

«وقاعدة أرض عمان مدينة نزوا.. ومن مدنها مدينة هرمز على ساحل البحر ويقابلها في البحر جزيرة هرمز الجديدة وبها حرون يسكنها سلطان عمان.. وبعد مدينة هرمز مدينة جنح بال على ساحل البحر ايضا.. وبعدها مدينة قيس وهي المسماة سيرآن مدينة عظيمة.. ثم بعدها مدينة البحرين.. وبعدها مدينة القطيف.. ثم مدينة هجر وتسمى اليوم الاحساء»^(٦).

ويضيف في مكان آخر عند حديثه عن العمران في الخليج العربي :

«ثم مدن جزيرة العرب أولها الاحساء ثم مدينة الاحقاف ثم مدينة أصحاب الاخود.. ثم مدينة ارم ذات العماد ثم مدينة اراص.. ثم مدينة البحرين ثم مدينة جوهي اليمامة ثم مدينة الحجر.. ثم مدينة حارك بها مدن ايضا ثم مدينة الخط قرب عمان ثم مدينة الرس قرب جلال ثم مدينة سليمان ثم مدينة سلجين ثم مدينة سوقية ثم مدينة الشحر بعمان ثم مدينة هجر قرب عمان»^(٧).

وعن اجناس السكان بالخليج العربي أكد الزباني عروبة المنطقة^(٨) حين قال : «فهذه عمائر جزيرة العرب من اليمن الى القادسية ومدائنها وهي باب العرب»^(٩).

«مدن جزيرة العرب أولها الاحساء»^(١٠). مدينة هجر يسكنها

عرب بني حنيفة وهي بلدهم من قديم الزمان»^(١١). «بمدينة قيس.. العرب هم الذين يغوصون على اللؤلؤ فيما بينها وبين البحرين»^(١٢). كما أورد عنصر التركمان والعجم «ومدينة جنح بال على ساحل البحر ايضا وسكانها تركمان وهم الذين يعمرون تلك المفاوز وهم أهل شجاعة وقسوة»^(١٣). «ومدينة قيس.. سكانها عجم وبها بعض العرب»^(١٤).

ومن بين هؤلاء السكان من هو على مذهب الاباضية «وقاعدة أرض عمان مدينة نزوا وأهلها اباضية»^(١٥). «ومدينة القطيف يسكنها العرب»^(١٥). وهذه البلاد كلها تسودها السلفية^(١٦).

٣. الناحية الاقتصادية :

وصف ابو القاسم الزباني في «الترجمة الكبرى» ما حبته الطبيعة من خيرات لمنطقة الخليج العربي، فهو «بحر مبارك كثير الخيرات السالمة.. به مغاص اللؤلؤ الذي خرج منه الحب البالغ الكبير وربما وقعت الدرة اليتيمة التي لا نظير لها»^(١٧).

«وفي جزائره معادن أنواع الياقوت والاحجار الملونة النفيسة ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسنبادج والعقيق وأنواع الطيب والأفاوية»^(١٨) «وفي جزيرة هرمز الجديدة.. معدن الملح الاندراي في سباخ بها»^(١٩) وعن الظروف التي يتكون فيها الدر اللؤلؤ بمياه الخليج العربي ذكر :

الآن محجي»^(٢٣). وإلى المبادلات التي كانت تتم بين مناطق الخليج «جزيرة هرمز الجديدة.. يجلب لأهلها التمر من عمان والبصرة لأكلها مع السمك»^(٢٤).

٤. الأوضاع السياسية في الخليج العربي :

من دراستنا لما ورد في الترجمانة الكبرى للزياني نلاحظ :

١ - وجود وحدات سياسية مثل سلطنة عمان (ومن مدنها مدينة هرمز على ساحل البحر ويقابلها في البحر جزيرة هرمز الجديدة وبها حرون يسكنها سلطان عمان)^(٢٥).

٢ - قيام بعض الجماعات المحلية بفرض نفوذها (مدينة جنح بال على ساحل البحر وسكانها تركمان وهم الذين يعمرن تلك المقاوز وهم أهل شجاعة وقسوة)^(٢٦). ومدينة القطيف^(٢٧).

٣ - سيطرة السلفيين على مناطق واسعة من البلاد «وأما اقليم الشرق من سواد الى العراق الى مغايط الفرات إلى البحرين الى عمان الى نجران الى اليمامة الى حدود اليمن فقد تبعت السلفية»^(٢٨).

٤ - ضعف السلطان العثماني في

«يزعم البحرينيون ان الصدف الدرى لا يكون الا في بحر تصب فيه الانهار العذبة فاذا اتى الربيع كثرت هبوب الرياح في البحر ورفعت الامواج ويضطرب البحر فاذا كان الثاني عشر من نيسان خرجت الاصداف من قعور هذه البحار ولها اصوات وقعقة وبوسط كل صدفة دويبة صغيرة وصفاقتى الصدف لها كالجناحين وكالسور تتحصن بهما من عدو متسلط عليها وهو سرطان البحر.. وفي اليوم الثاني عشر من نيسان لا تبقى صدفة في قعور هذه البحار المعروفة بالدرو واللؤلؤ الا صارت على وجه الماء وتفتحت حتى يصير وجه الماء ابيض كاللؤلؤ وتأتى سحابة بمطر عظيم ثم تنقشع السحابة وقد وقع في جوف كل صدفة ما قدره الله تعالى واختار.. وافضل الدر المتكون في هذه الاصداف القطرة الواحدة والاثنتان والثلاثة وكلما قل العدد كان اكبر جرما واعظم قيمة والمتكونة من القطرة الواحدة هي الدرة اليتيمة التي لا قيمة لها»^(٢٩). ويبدو ان الولاة كانوا يتعاطون تجارة اللؤلؤ : «وعندهم مغاصات اللؤلؤ تحت حكم سلطانها»^(٣٠).

وفي المجال الاقتصادي نجد ايضا اشارات الى بعض المزروعات في المناطق الخصبة : «مدينة قيس وهي المسماة سيران.. مدينة عظيمة ذات بساتين ومزارع»^(٣١). «مدينة هجر.. كثيرة الانهار والاشجار بها من التمر

منطقة الخليج العربي «ولما زاحمتهم الروم ببلاد الشمال وحاربوها.. وضعفت دولتهم عن مقاومة اجناس الروم وشغلوا بحربهم استبد على السلطان العثماني ملوك العجم وكل واحد منهم ضبط اقليمه وقطع نظره عن العثماني وعن الباشا الذي يأتي من عنده، ولم يبق الا ذكره في الخطبة ورسمه على السكة.. والممالك البحرية وممالك العرب وكل الممالك التي ذكرنا في بلاد العجم فقد خرجت عن

الهوامش

٥ - تحريض السلطان العثماني لوالي مصر محمد علي على محاربة السلفيين : «قلت وهذه البلاد كلها استتبعت السلفية.. وقد بلغنا ان والي مصر من امراء الدولة العثمانية تصدى لهذا المسمى وقام له بخيله ورجله ومهد درب الحجاز وعمر الحرمين بجنده وهياً له جرائد من العساكر تبعده الى اقصى بلاده واخرجه عن قرار عزمه والامور مستمرة على ذلك» (٢٩).

- ١٦- الزياتي - الترجمانة ص ٤٩٤
- ١٧- الزياتي - الترجمانة ص ٢٩٧
- ١٨- الزياتي - الترجمانة ص ٢٩٧
- ١٩- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٢٠- الزياتي - الترجمانة ص ٣٤٦
- ٢١- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٢٢- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٢٣- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٢٤- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٢٥- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٢٦- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٢٧- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٢٨- الزياتي - الترجمانة ص ٣٥٥
- ٢٩- الزياتي - الترجمانة ص ٣٥٥
- ٣٠- الزياتي - الترجمانة ص ٣٩٤

- ١ - الزياتي - الترجمانة ص ٢٩٣
- ٢ - الزياتي - الترجمانة ص ٢٩٧
- ٣ - الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٤ - الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٥ - الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٦ - الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٧ - الزياتي - الترجمانة ص ٤٩٢
- ٨ - الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ٩ - الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ١٠- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ١١- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ١٢- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ١٣- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ١٤- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠
- ١٥- الزياتي - الترجمانة ص ١٩٠